

ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد



ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

طوبارية الميلاد على اللحن الثالث:-
ميلادك أيها المسيح إلهنا قد أشرق نور المعرفة للعالم. لأن الساجدين للكواكب به تعلموا من الكوكب السجود لك يا شمس العدل. وأن يعرفوا أنك من مشارق العلو آتيت، يا رب المجد لك. (ثلاثاً).

قدناق عيد الميلاد - على اللحن الرابع:
اليوم تلد العذراء الفاتق الجوهر فتقدم الأرض المغارة للذي لا يُدنى منه. والملائكة يُمجّدونه مع الرعاة، والمجوس يسرون إليه مع النجم، فإنه وُلد من أجلا صبيّ جديد هو الإله الذي قبل الدهور.

الرسالة

ليسجد لك كلُّ أهل الأرض ويرتلوا لك
هللوا لله يا جميع أهل الأرض

فصل من رسالة القديس بولس الرسول
إلى أهل غلاطية (٤: ٤-٧)

يا إخوة لَمَّا حان ملءُ الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس * ليفتدي الذين تحت الناموس لننال النبي * وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارحاً يا آبا الأب * فلست بعد عبداً بل أنت ابن. وإذا كنت ابناً فأنت وارث لله يسوع المسيح.

القديس كيرلس الكبير

الكلمة أن يكون جوهراً في الجسد، هو الذي كلّه في الأب بفعل كيانه وجوهه الدائنين. كيف أمكن الله، وهو بكامل طبيعة الله، أن يصير إنساناً بحسب طبيعة البشر، بغير أن يتنكر لهذه أو تلك من الطبعين، لا الإلهية التي فيها هو إله، ولا البشرية التي فيها هو إنسان؟
الإيمان هو في أساس كلِّ ما يفوق الإدراك، يتحدّى التعبير، فالإيمان وحده يمكنه أن يسير غور هذا السر.

الطبيعة البشرية وتعيدها إلى براءتها الأولى، بالقوة الإلهية التي يجعلها فيها.
في الواقع أنّ الحية عندما نفثت سمّ حثيثها في شجرة المعرفة، أفسدت طبيعة الإنسان عندما ذاق من الشجرة. وكانت الحية تفكر في أن تفتن أيضاً جسداً الرب، ولكنها أهدت بالقوة الإلهية المساكنة في هذا الجسد.
تعم إن تجسد الله هو سرُّ عظيمٍ وبقى سرّاً... كيف يمكن

التجسد - للقديس أنثاسيوس الكبير

مرة أخرى نقول، أي طريق كان ممكناً أن يسلكه الله؛ يطلب من البشر التوبة عن تعدياتهم لعلمهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدي يتلون عدم الفساد بسبب التوبة.

ولكن التوبة لا تستطيع أن توفي مطلب الله العادل لأنه إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق. ثم انه تعجز التوبة عن أن تغير طبيعة الإنسان لأن كل ما تفعله هو أن تقف حائلاً بينه وبين ارتكاب الخطيئة .

ولو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان ولم يتبعه الفساد تكون التوبة كافية. أما الآن وقد علمنا أن الإنسان بمجرد التعدي انجرف في تيار الفساد الذي أصبح طبيعة له، وخرم من تلك النعمة التي سبق أن أعطيت له وهي مماثلة لصورة الله. فما هي الخطوة التالية التي كان يستلزمها الأمر؛ أو من الذي يستطيع أن يعيد إليه تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة الله الذي خلق كل شيء من العدم في البدء.

لهذا عمل كلمة الله مرة أخرى ليأتي بالفساد إلى عدم الفساد، وفي نفس الوقت أن يوفي مطلب الأب العادل المطالب به الجميع . وحيث انه هو كلمة الأب ويفوق الكل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقه كل شيء وأن يتحمل الآلام عوضاً عن الجميع وأن يكون نائباً عن الجميع لدى الله.

* (ملحوظة للتوضيح): قال الله لآدم: «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢: ١٧). (أكل آدم، وعصى أوامر الله، فكانت أجرة الخطيئة هي الموت الأبدي، إلا أنّ المسيح بواسطة سرّ التدبير الإلهي تجسّد ليعيد آدم الساقط إلى بهاء المجد الذي فقدته بعصيانه - مات المسيح عنّا - ليعيش نحن للمسيح. كما يقول القديس بولس الرسول: «مع المسيح صلبت، فأخياً لا أنا، بل المسيح يخياً فيّ. فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠).



القديس أنثاسيوس الإسكندري

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس متى الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (متى ١: ٢ - ١٢)

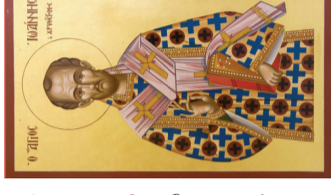
لَمَّا وُلِدَ يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك اذا مجوسٌ قد اقبلوا من المشرق إلى اورشليم قائلين: أين المولود ملك اليهود. فإنا رأينا نجمة في المشرق فوافينا لنسجد له * فلَمَّا سمع هيرودس الملك اضطرب هو وكلُّ اورشليم معه * وجمع كلَّ رؤساء الكهنة وكتبه الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح * فقالوا له في بيت لحم اليهودية. لأنه هكذا قد كتب بالنبي: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست بصغرى في رؤساء يهوذا لأنه منك يخرج المدبر الذي يرمى شعبي إسرائيل * حينئذ دعا هيرودس المجوس سرًّا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر * ثم أرسلهم إلى بيت لحم قائلاً انطلقوا وابحثوا عن الصبي بتدقيق ومتى وجدتموه فاخبروني لكي آتي أنا أيضًا واسجد له * فلَمَّا سمعوا من الملك ذهبوا فإذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي * فلَمَّا رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدا وأتوا إلى البيت فوجدوا الصبي مع مريم أمه فخرُّوا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهبٍ ولبانٍ ومُرٍّ * ثم أوجي إليهم في الحلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس فانصرفوا في طريق أخرى إلى بلادهم.

شذرات من آباء الكنيسة العظام

+ التجسد - للقديس يوحنا الذهبي الفم

«والكلمة صار جسدًا وحلَّ فيها». بعد أن قال الإنجيلي إن الذين قبلوه قد أصبحوا أبناء الله لأنهم وُلِدوا منه، يوضح لنا سبب ذلك الشرف الأثيل، وهو أن الكلمة قد صار جسدًا واتخذ الرُّبَّ صفة العبد، ومع أنَّه بالحقيقة ابنُ الله جعل نفسه ابنَ الإنسان ليجعل الناس أبناء الله. عندما يرمي السامعي المُقام من كان أوفى منه رتبةً، لا يُحفظُ من مجده، بل يرفعُ الوضع إلى مستواه، وإذ يعطف ملكٌ على فقير مهتمًا بشأنه، لا ينتهك شرفه، بل يجعل المسكينَ عزيزًا مرموقًا في عيون الناس، وهذا ما فعله المسيح. ينزله من السماء لم يحط من طبيعته الإلهية، لكنه رثانا إلى مجده نحن الذين كنا نتسكع في رطام العار والظلمات.

إذا كانت مخالطة الوضع لا تُخفِّض من مقام الشريف من أهل العالم، مع أنَّ الصفات الإنسانية خارجية، فكم بالأحرى إنَّها لا تُمسُّ من حُرمة القيوم الأزلي الذي لا يتغير شيءٌ في



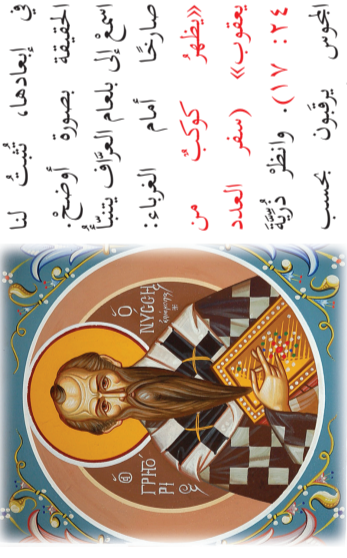
+ آية الميلاد -

للقديس غريغوريوس النيصي

لنُعذَّ إلى أفراسينا التي أعلنها الملائكة للرعاة ورؤمًا السماء للمجوس وأذاعها روح النبوة بألف صوت ليصبح الجحوس أنفسهم مُذمبي النعمة. إنَّ الذي يُشرق شمسهُ على الأحيار والفجار ويسكب غيبته على الأبرار والأشرار، وضع أشعة المعرفة وندى الرُّوح على شفاهِ شتَّى، إنَّ هذه الشهادات المبناية

جوهرة الإلهي! فإذا سمعت القارئ يقول: «الكلمة صار جسدًا»، لا تضطربنَّ لذلك، فالذي صار جسدًا ليس الجوهرة الإلهي، إنَّ هذا لكثرة، لكنه لا يزال على كيانه، قد اتخذ حالة عبد.

(الوعظة ١١ على إنجيل يوحنا)



في إعادها، ثبت لنا الحقيقة بصورة أوضح، اسع إلى بلعام العراف يتنبأ صارخًا أمام الغرياء: «يظهر كوكب من يعقوب» (سفر العدد ٢٤: ١٧). وانظر دُرَّة الجوس يرقبون بحسب نبوءة جدهم ظهور نجم جديد، له وحدة بين سائر الكواكب إِمكائية الحركة والجمود، فيصنع هاتين الخاصتين لأجل خدمة الله. بينما تُتابع سائر الكواكب سيرها في الكون بدون توقُّف، أو يكون لها مقرٌّ ثابت لا يتغير. أمَّا كوكبنا فيسيرُ ليقود الجوس، ويقفُ ليرشدنا إلى المكان. هوذا أشعيا يصرخ: «قد وُلِدَ لنا وُلْدٌ أُعطي لنا ابنٌ» (اشعيا ٩: ٦). تعلم من هذا النبي طريقة مولد هذا الطفل وكيف أُعطي لنا. هل كان ذلك بحسب الشريعة الطبيعية!

كأى، يُجيب النبي، لا يخضع سيّد الطبيعة لشرائعها. فأن لي إذن، كيف وُلِدَ الطفل؟ إليك ذلك: «يوتكم الربُّ آيةً، ها إنَّ العذراء تحبل وتلدُّ ابنًا وتدعى عمانوئيل» (اشعيا ٧: ١٤)، التي تعني: الله معنا.

(عظة عيد الميلاد)

+ بالتجسد لم تتغير الطبيعة الإلهية -

للقديس كيرلس الاسكندري

كيف حلَّ بيننا مَجْدًا جسدًا من عذراء؟ لم يأخذ جسدًا حاليًا من الرُّوح، كما يُدعى كثيرٌ من الهرطقة، بل فيه نفسٌ عاقلة. هكذا وُلِدَ إنسانًا كاملاً من امرأة بريئة من الخطيئة، حقيقة وليس ظاهرًا أو خياليًا. وبدون أن يتخلّى عن جوهرة الإلهي أو ينقطع عن أن يكون ما كان دائمًا وسيكونه، أعني الله. ولهذا نقول: إنَّ العذراء هي أمُّ الله، وكما كتب الرسول بولس: «إله واحد، الأب الذي منه



كل شيء وربُّ واحد يسوع المسيح الذي به كلُّ شيء» (الأول إلى كورنثوس ٨: ٦). لا تجزئ ابنين إلهاً ومخلصنا الأوحى، كلمة الله الذي صار إنسانًا وجسدًا. كما إنَّه لا يجوز أن نخطئ، كما يفعل كثيرٌ من الهرطقة السخفاء، في ألوئية الإنسان، فعلى رأي بعضهم، إنَّ كلمة الله تحول إلى طبيعة جسدية، وعلى رأي غيرهم أن الجسد تحول إلى جوهرة إلهي. لا يتعرض كلمة الله لأيّ تغيير أو تنوع. وما إنَّه اتخذ بواسطة العذراء، جسدي ذي نفس عاقلة، نقول إنَّه تجسّد وتأنس بنوع فائق الوصف.

(الوعظة ١٥، عن الميلاد)

+ التجسد سرُّ يبقى -

للقديس مكسيموس المعترف

وُلِدَ كلمة الله مرّة واحدة بحسب الجسد. ولكنه بجبه للبشر يودُّ أن يولد باستمرار بالرُّوح في الذين يجنونه. يصبح طفلًا صغيرًا، ويتكوّن فيهم مع الفضائل. يظهر بمقدار ما يتضح له أنَّ من يقبله حديثه به. بفعله هذا، يُحفظ من هاء عظمته بقياس سعة الذين يرغبون في رؤيته. وهكذا يظهر لنا كلمة الله بالطريقة التي ثلاثنا، ولكنه يظلُّ مستترًا عن الجميع، بسبب عظمتة سرّة. فالرسول السامي، من اعتباره لقوّة هذا السرِّ يقول بكل حكمة: «يسوع المسيح هو نفسه أمس واليوم وإلى الأبد». إنه يتأمل دائمًا هذا السرَّ الجديد، نفسهُ أمس واليوم وإلى الأبد. إنه يتأمل دائمًا هذا السرَّ الجديد، سراً لن ينتهي العقل من الإمعان فيه. المسيح، وهو الله، مولود يصبح إنسانًا باتخاذ جسدًا متميزًا ذا نفس عاقلة. وهو الذي أخرج كل موجود من العدم... وإذا بنجُم بسطع في المشرق في وضوح النهار يقود الجوس إلى مكان تجسّد الكلمة. بهذا ظهر سرُّ انتصار الكلمة المُحتواة في الشريعة والأنبياء، الكلمة التي تقود الشعوب نحو الثور الأعظم الموهوب للبشر، لأنَّ كلمة الشريعة والأنبياء كانت كنجمة مُرتقب، يقود الذين هم مدعوون بالنعمة بحسب مشيئة الله، إلى المعرفة الواضحة للكلمة المتجسد.

هكذا يصيرُ الله إنسانًا دون أن يترك شيئًا من طبيعة البشر، ما خلا الخطيئة، التي ليست من صلب طبيعتنا. وهكذا يُداوي

